

# ظاهرة التطفل على مائدة التاريخ

أ. د. سامي الحفار

لا أدري أهو من حسن حظ التاريخ أم من سوء حظه، أن يُقبل كثير من المتطفلين على مائدته، بخلاف العلوم الأخرى التي قلما نجد أحداً من غير أربابها يسمح لنفسه بخوض مواضيعها والجرأة على الكتابة فيها. أما التاريخ فيبدو أن أبوابه مشرعة مفتوحة يدخلها من يشاء، ويكتب في موضوعاته من يريد حتى ولو كان غير مؤهل للكتابة التاريخية، كأن الكتابة فيه لا تحتاج إلى إعداد خاص أو توفير الآلات والمعدات الضرورية مع التدريب اللازم! ولهذا فالمجلات العامة والصحف تزخر بالمقالات التي تتناول جوانب من التاريخ، ولا سيما التاريخ الإسلامي الذي أصبح مشاعاً للجميع، فيكتب فيه الناس دون أن يراعوا القواعد المنهجية من رجوع إلى المصادر وتوثيق للمعلومات أو مناقشة للروايات واستخلاص للنتائج.



أنا لا أنكر أن هناك بين الهواة من يستطيع أن يؤدي للكتابة التاريخية حقها، ويخرج بدراسة ناضجة تزيد في غنى المكتبة التاريخية وتدعمها. ويحضرني الآن الكتاب القيم الذي صنفه الأستاذ عباس العزاوي - رحمه الله - بعنوان «العراق بين احتلالين» الذي غطى فيه حقبة تاريخية في غاية الأهمية تقع بين الاحتلال المغولي لبغداد في عام ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م، والاحتلال البريطاني للعراق في سنة ١٣٣٦هـ / ١٩١٧م. ويقع الكتاب في ثمانية مجلدات، وقد احتاج المؤلف في تأليفه إلى مراجعة عدد كبير من المصادر في مختلف اللغات، ومنها اللغتان الفارسية والتركية اللتان يجيدهما الأستاذ العزاوي - رحمه الله - . وقد ساعده إتقانه لهاتين اللغتين علاوة على اللغة العربية في تصنيف هذا الكتاب القيم رغم أن المؤلف - رحمه الله - لم يكن من أهل التاريخ، وإنما كان من رجال القانون البارزين، ولكن ليس كل المتطفلين على الكتابة التاريخية هم على شاكلة الأستاذ العزاوي وفي كفاءته ومستواه.

إن الذي دعاني إلى طرق هذا الموضوع هو ما نشرته جريدة «الشرق الأوسط» الصادرة في لندن في العدد (٥٢٣٢) ليوم الجمعة الموافق ٣ من شوال ١٤١٣هـ / ٢٦ من آذار (مارس) ١٩٩٣م عن وسائل الإنارة في المساجد في العصور الإسلامية، من إعداد مكتب الجريدة في باريس، تناول المقال الوسائل التي استعملها المسلمون في إنارة المساجد، ومنها السُرُج التي تصنع من النحاس أو الفخار، وتوقد بالزيت والقناديل والشموع التي يُصنع لها قواعد خاصة عرفت بالشمعدانات، وما إلى ذلك. في الحقيقة أن الموضوع مهم وطريف ولا يتسع له مقال عابر، خاصة وأنه يشمل العصور الإسلامية كلها على مدار ١٤ قرناً من الزمان. ولكن الذي أريد مناقشته ليس هذه النقطة، وإنما هدفي هو إلقاء الضوء على ما اتسم به المقال من عدم الدقة التي ينبغي مراعاتها

في مختلف الدراسات ومنها الدراسات التاريخية، وغياب التوثيق، وإلا لصار بوسع كل من هبّ ودبّ أن يختار ما يحلو له من الموضوعات، ويجبرّ فيه بضع صفحات، ويدفعها إلى المطبعة للنشر، ويزعم أن ما كتبه هو بحث في التاريخ! إن لي على هذا المقال عدداً من الملاحظات هي:

١ - جاء في المقال (ص ٢٠ من الجريدة) النص الآتي: «قال ابن الزبير في كتاب (الذخائر والتحف): لما ولي محمد الأمين الخلافة بعد أبيه هارون الرشيد سنة ثلاث وتسعين ومئة أمرني أن أحصي ما في الخزائن من الكسوة والفرش... وألف نور للشمع... إلخ».

هنا ينبغي التوقف عند كلمة «أمرني» التي توحي من النص السابق بأن المأمور هو ابن الزبير مؤلف كتاب (الذخائر والتحف)، إذ لم يرد ذكر أي شخص آخر وجه إليه الأمين أمره بالإحصاء، إلا أن ذلك من باب المستحيلات لأن الأمين - كما هو معروف - تولى الخلافة في عام ١٩٣ هـ، في حين أن ابن الزبير هو من أهل القرن الخامس الهجري، أي عاش بعد ذلك بحوالي ثلاثة قرون، ولا بد أن الشخص الذي قام بالإحصاء هو شخص آخر، وهو الذي نقل ابن الزبير أقواله، ولكن فات على كاتب المقال أن يذكره، مما يدل على أن الكاتب لم يألف قواعد منهج البحث التاريخي. ويؤيد هذا الظن أن الكاتب الفاضل لم يكلف نفسه عناء الإشارة إلى رقم الصفحة في كتاب (الذخائر والتحف) التي رجع إليها، فضلاً عن طبعة الكتاب، وما إلى ذلك من التفاصيل الواجب ذكرها عند الإشارة إلى المصادر وفقاً للقواعد المذكورة.

ولدى مراجعة كتاب (الذخائر والتحف - طبعة الكويت في سنة ١٩٥٩ م) نجد في القصة رقم (٣٠٢) في الصفحة (٢١٤) أن الفضل بن الربيع هو صاحب ذلك القول، وأن الأمين قد أمره بإحصاء ما في خزائن أبيه. والفضل

هذا كان حاجباً للرشييد ثم تولى القيام بشئون الوزارة للأمين من بعده، وقد توفي في عام ٢٠٨هـ - انظر «شذرات الذهب» لابن العماد الحنبلي، طبعة بيروت، ج ٢: ص ٢٠ - وهكذا فإن الشخص الذي أمره الأمين بالإحصاء هو الفضل وليس ابن الزبير. والجدير بالذكر أن هناك شخصاً يدعى ابن الزبير أيضاً، هو أحمد بن علي الغساني، ويعرف بالرشييد الأسواني، وكان مشاركاً في عدد من العلوم، وقد توفي في سنة ٥٦٣هـ - انظر «معجم المؤلفين» لعمر رضا كحالة، ج ١: ص ٣١٥ - ولذا ينبغي ألا يخلط بين الاثنين.

ثم هناك ما قاله كاتب المقال عن وجود «ألف نور للشمع» بين تركة الرشييد التي أحصيت، وقد وقع في قوله هذا شيء من التصحيف، إذ لا وجود لكلمة «نور» في النص الأصلي، وإنما هي (تور) بالتاء المنناة، والمقصود بها كما في معجمي «الصحاح» و«لسان العرب» هو الإناء، وزاد على ذلك المستشرق (دوزي) في معجمه المسمى «تكملة المعاجم العربية» أن كلمة «تور» وتجمع على «أتوار» هي المشكاة والثريا والشمعدان. ويؤيد ذلك قول ابن الزبير إن الفضل ابن الربيع وجد في تركة الرشييد «ألف نور للشمع» أي «ألف شمعدان». ويؤكد هذا المعنى ما ورد في مواضع أخرى من كتاب «الذخائر والتحف» نفسه، ففي القصة رقم ٩١ (ص ٧٩) ورد ذكر هدية بعث بها طغرل بك السلجوقي إلى ملك الروم في عام ٤٤٨هـ، كان ضمنها مئة قطعة «أتوار فضة بشمع موكي كبار»، وورد في القصة رقم ١١١ (ص ٩٢) ذكر الاحتفال بزواج الرشييد بزييدة، حيث أوقد بين يديه شمع العنبر في «أتوار الذهب».

وهكذا فقد وقع كاتب المقال في خطأ منشؤه - في ظني - هو عدم اعتياده ممارسة البحث التاريخي وفق الأصول المقررة في هذا الشأن.

٢ - أن كاتب المقال أهمل الإشارة إلى مواضع نقله من المصادر سواء أكان ذلك كتاب «الذخائر والتحف» أم غيره، من ذلك مثلاً ما نقله عن الأزرقى مؤرخ مكة فيما يتعلق بعدد قتاديل المسجد الحرام في القرن الثالث الهجري، رغم أن هذا العدد كان هو العنوان الذي اختاره الكاتب لمقاله، وقد كان حرياً به أن يدعمه بذكر رقم الصفحة من كتاب «أخبار مكة» الذي رجع إليه الذي لم يذكر اسمه على الأقل.

ومثل ذلك ما نقله عن كتاب «مسالك الأبصار» لابن فضل الله العمري الذي يقع في عشرات الأجزاء، فإن الكاتب الفاضل لم يذكر رقم الصفحة ولا الجزء الذي رجع إليه منه. ومثل ذلك ما نقله عن ابن الفقيه الذي لم يتفضل علينا حتى بذكر اسم كتابه، فضلاً عن رقم صفحة الكتاب الذي اقتبس منه معلوماته. ونقل بعض المعلومات عن ابن الجوزي، ولم يذكر عنوان الكتاب الذي نقل عنه والمعروف أن لابن الجوزي عشرات من المصنفات مما يجعل تحديد الكتاب المنقول عنه، أمراً أكثر حتمية، ولكنني على أي حال رجّحت أن يكون المقصود هو كتابه «المنتظم» الذي يقع في ١٨ جزءاً، ولذا صار من المتعين هنا تعيين الجزء ورقم الصفحة، ولقد اهتمتُ بحمد الله إلى موضع النقل وهو الجزء الثامن عشر في الصفحة ٢٠٣ (من طبعة دار الكتب العلمية في بيروت). كذلك نقل كاتب المقال عن ابن بطوطة، وهنا أيضاً لم يذكر اسم الكتاب ولا رقم الصفحة فضلاً عن الطبعة، خصوصاً وأن رحلة ابن بطوطة - وهي على الأرجح مصدر النقل - طبعت عدة مرات، ومن العسير الاهتداء إلى الموضع الصحيح فيها.

٣ - ورد في المقال قول الكاتب: «وكانت ترد إلى الخلفاء العباسيين هدايا ثمينة من الخلفاء والسلاطين والملوك والأمراء من أنحاء العالم الإسلامي». وهنا

أتوقف عند عبارة «من الخلفاء»، إذ هي تشير إلى وجود خلفاء عاصروا خلفاء بني العباس، وكانوا يهادونهم، وهذا قول يعد وروده في مقال تاريخي في منتهى الغرابة، إذ لا يقبله من كان له أدنى معرفة بالتاريخ الإسلامي. فالمعروف أن العصر العباسي شهد وجود خلافتين إلى جانب الخلافة العباسية: الأولى هي الخلافة الفاطمية في مصر، والثانية هي الخلافة الأموية في الأندلس، وهاتان الخلافتان هما في نظر العباسيين مزيفتان، ويشاركهم في هذا الرأي غالبية المسلمين، إذ لا يصح شرعاً وجود أكثر من خلافة إسلامية واحدة تنتظم دار الإسلام في وقت واحد، أما ما عداها فهو خروج على الجماعة الإسلامية<sup>(١)</sup>، ثم إن الخلافتين المذكورتين من جانبيهما لا تعترفان بشرعية الخلافة العباسية بطبيعة الحال، ولو اعترفتا بشرعيتها لما بقي المبرر لوجود أي منهما. وقد أدى هذا الوضع الدقيق إلى عدم قيام علاقات بينهما وبين الخلافة العباسية، وحل محلها العداء المستحكم. ولذلك فليس من المتصور أن يقوم الخلفاء الفاطميون أو الخلفاء الأمويون في الأندلس بإرسال هدايا ثمينة أو غير ثمينة إلى أعدائهم من خلفاء بني العباس في بغداد. وعلى قدر علمي لم يسجل التاريخ ولا حالة شاذة واحدة في هذا الصدد.

٤ - ورد في المقال نقلاً عن كتاب «مسالك الأبصار» أن في جامع قرطبة بيتاً فيه «طسوت ذهب وفضة وحسك وكلها لوقيد الشمع في ليلة سبع وعشرين من رمضان». وقد فسر الكاتب (الحسك) بأنه شوك يستخدم لأغراض عسكرية. أنا لا أشك في أن الحسك شوك، وأن نوعاً منه يصنع من المعادن يمكن أن يستخدم لأغراض عسكرية، لكن الذي أشك فيه أن يكون الحسك في النص المقطب من «مسالك الأبصار» هو شوك في الأساس، إذ يقتضي السياق أن يكون هذا الحسك مادة تشبه في طبيعتها الذهب والفضة التي صنعت منها الطسوت،

والطسوت هنا ينبغي أن تكون آتية أو شمعدانات تتركب عليها الشموع . ولذلك فإن الشوك الذي يستخدم لأغراض عسكرية لا يمكن أن يكون هو المقصود في هذا المضمار . ولعل الكلمة الأصلية قد تصحفت حتى صارت «حسك» ، ولكن الكاتب الفاضل تقبل النص على علاته ، وفسره بالشكل الذي يبعده عن الحقيقة . وأنا من جانبي عجزتُ عن رد هذه الكلمة إلى أصل مقبول يمكن أن يزيل هذه الشبهة .

٥ - جاء في المقال بالنسبة لكتابة منقوشة على شمعدان موجود في مشهد الإمام علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه - في العراق ، قول الكاتب : «ونقرأ في الشريط العلوي سورة النور: بسم الله الرحمن الرحيم . الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح . . . إلخ الآية . . . » . فالنص بشكله هذا يوحي للقاري بأن الاقتباس هو (سورة النور) كلها أو بدايتها على الأقل ، في حين أن هذا الاقتباس ما هو إلا الآية (٣٥) من تلك السورة . ولذلك كان حرياً بالكاتب أن يكون أكثر دقة فيوضح ذلك بجلاء ، ويقول : «ونقرأ في الشريط العلوي الآية ٣٥ من سورة النور . . . إلخ» وفقاً لما جرى عليه العرف في مثل هذه الحالة .

٦ - ورد في المقال ذكر لمدينة (داقوق) التي قال عنها الكاتب إنها تقع في شمال العراق . وهنا لي ملحوظتان : الأولى هي أن الاسم الأصلي الصحيح للمدينة هو (دقوقاء) حسبما ذكر ياقوت الحموي في «معجم البلدان» (انظر ج ٢ ، ص ٤٥٩ ، طبعة صادر) . ولكن الناس خففوا هذا الاسم في زماننا هذا فصار (داقوق) . ودقوقاء مدينة قديمة ، وقد كان لها مكانة في التاريخ ، إذ وقعت فيها معركة قتل فيها الكثير من الخوارج قرناًهم أحد شعرائهم بقوله :

بنفسى قتل في دقوقاء غودرت      وقد قُطعت منهم رءوس وأذرع

والملاحظة الثانية هي أن هذه المدينة ليست في شمال العراق، وإنما هي في المنطقة الشرقية منه بالقرب من مدينة (كركوك) التي كانت تسمى في العصر العباسي بمدينة (الكرخيني) من أعمال شهرزور.

٧ - ولي على مقال (الشرق الأوسط) ملحوظة أخيرة هي أن الصورة الملحقه بالمقال التي كُتِبَ تحتها هذه العبارة (الشمعدان: إضاءة وزينة) يتوقع القاري أن يجد في تلك الصورة نماذج للشمعدانات، ولكنه يجدها صورة لثريا من الكريستال - أي: البلور - معلقة في سقف قبة مزخرفة، ولا علاقة لها قط بالشمعدانات التي تجهز بها المساجد! وما دام الشيء بالشيء يذكر - كما يقولون - فإنني أود أن أنتهز الفرصة فأنبه القاري إلى أن هذا المقال لم يأت على ذكر الثريات - ويسميتها إخواننا المصريون: النجفات - التي صارت تعلق في المساجد ولا سيما الكبرى منها في إسطنبول وغيرها من العواصم الإسلامية، وهي تصنع عادة من البلور أو النحاس. ثم إن هناك ثريات من نوع خاص عرفت في المغرب العربي، وهي في الأساس عبارة عن نواقيس كنسية نقلها حكام المغرب من الأندلس، وأدخلوا عليها بعض التعديلات فحولوها إلى ثريات جهزت بها الجوامع المغربية، ومنها جامع القرويين في فاس. وقد كانت تلك النواقيس موضوعاً لمقال طريف نشرته مجلة (الدارة) الصادرة في الرياض في عددها لأشهر رجب - شعبان ١٤١٢ هـ، بعنوان «ثريات من النواقيس في جامع القرويين في مدينة فاس»، كما نشرت تعليقاً على ذلك المقال في عددها لأشهر المحرم - صفر - ربيع الأول ١٤١٣ هـ، وكان بعنوان «ثريا جامع تازة». وهكذا فإن مقال «الشرق الأوسط» قد أغفل وسيلة مهمة من وسائل إنارة المساجد طغى وجودها على بقية الوسائل.

وخلاصة القول فإن هذا المقال قد جانب الصواب من نواح عديدة، وكان

حريراً بصحيفة كبرى مثل «الشرق الأوسط» ألا تتسامح في نشر المقالات التي تعالج موضوعات علمية إلا بعد عرضها على ذوي الاختصاص وإجازتها منهم على غرار المقالات التي تعالج موضوعات طبية مثلاً، إذ ينبغي التحقق من خلوها من الأوهام والأخطاء قبل نشرها حماية لصحة القراء، وهنا أيضاً فإن المقالات التاريخية والأدبية تستحق عناية مماثلة حرصاً على سلامة أفكار القراء من تسرب الأغلاط إليها شأنها شأن تلك المقالات سواءً بسواء.

هذا نموذج واحد من نماذج التطفل على مائدة التاريخ، ولكنه ليس النموذج الوحيد، كما قد يظن البعض فيتهمني بالمبالغة والتعميم. ولذلك سأختار نموذجاً آخر، وهو في هذه المرة من مقال نشرته صحيفة «رسالة الجامعة» التي يصدرها قسم الإعلام في جامعة الملك سعود بالرياض، وكان نشره في العدد رقم (٤٩٧) الصادر في ٢٤ من شعبان ١٤١٣ هـ الموافق ١٥ من شباط (فبراير) ١٩٩٣ م بعنوان «ترجمة العلوم بين العزلة وخاوف الاستلاب»، وهو يدور حول موضوع تدريس العلوم باللغة العربية، وترجمة الكتب العلمية إلى هذه اللغة، وهو موضوع كثر الخلاف بشأن الشق الأول منه، أي: شق التعليم. وإنني لا يهمني هنا هذا الجانب من المقال على أهميته، لكن الذي يهمني هو أن الكاتب تناول موضوعاً تاريخياً من أجل دعم الرأي الذي يدعو إليه، ولكنه - على ما يبدو - لم يكن قد هياً نفسه لخوض مثل هذا الموضوع، فوقع في الخطأ!

وبخلاصة الأمر أن كاتب المقال أشار إلى بروز عدد من علماء المسلمين في الطب والفلك وغيرهما، وذكر منهم ابن رشد وابن سينا وابن النفيس وجابر بن حيان التوحيدي (كذا). وجميع الأسماء التي ذكرها الكاتب هي أسماء حقيقية لا غبار عليها ما عدا اسماً واحداً هو الأخير، إذ ليس بين علماء المسلمين من اسمه (جابر بن حيان التوحيدي)! ويبدو أن الأسماء قد تشابهت على الكاتب بسبب

عدم امتلاكه الخلفية التاريخية، فهناك أولاً (جابر بن حيان الكوفي) المتوفى سنة ٢٠٠هـ/ ٨١٥م، وهو كيميائي وفيلسوف له تصانيف كثيرة بلغت (٢٣٢) كتاباً، بل زادها البعض إلى (٥٠٠)، وقد ضاع أكثرها، وترجم بعضها إلى اللغة اللاتينية. وجابر هذا ترجم له ابن النديم في كتاب «الفهرست»، والقفطي في «أخبار الحكماء»، وله ترجمة ضافية في كتاب «الأعلام» لخير الدين الزركلي.

وهناك ثانياً (أبو حيان التوحيدي)، وهو علي بن محمد المتوفى سنة ٤٠٠هـ/ ١٠١٠م، وأبو حيان هذا أديب فيلسوف ومتصوف معتزلي الرأي كان من أصحاب ابن العميد والصاحب بن عباد من وزراء بني بويه. له مؤلفات كثيرة سلم منها القليل، إلا أنها كتب قيمة نذكر منها كتاب «المقابسات»، وكتاب «البصائر والذخائر» و«مثالب الوزيرين» ابن العميد وابن عباد، ولكن أشهر مؤلفاته هو «الإمتاع والمؤانسة». وهذه الكتب كلها مطبوعة، وبعضها يقع في عدة مجلدات. ولأبي حيان ترجمة في «معجم الأدباء» لياقوت الحموي، وفي كتاب «بغية الوعاة» للسيوطي، وفي «طبقات الشافعية» للسبكي، كذلك له ترجمة جيدة في كتاب «الأعلام» للزركلي.

وهكذا فليس في التاريخ شخص باسم «جابر بن حيان التوحيدي»، وإنما هناك شخصيتان متميزتان يفصل بينهما قرنان من الزمان، علاوة على الفرق بين حقول اهتمام كل منهما.

وعلاوة على ذلك فإن المقال المذكور تضمن خطأين لها علاقة بالتاريخ: أولهما أن كاتبه سمى حكم العثمانيين للبلاد العربية «احتلالاً»، وقد فاته أن حكم أية دولة إسلامية لأي إقليم مسلم لا يمكن وصفه بأنه احتلال، خصوصاً إذا كانت تلك الدولة تحمل صفة الخلافة، كما هو الحال بالنسبة للدولة العثمانية. وإننا لو أخذنا بهذا المنطق الذي أخذ به كاتب المقال، لكان حكم

الدولة الأموية لمصر والعراق وخراسان وبلاد ما وراء النهر وغيرها - ما عدا الشام - احتلالاً، ومثله حكم الدولة العباسية لجميع تلك الأقاليم - ما عدا العراق - احتلالاً أيضاً، وهكذا! في الواقع أن المسلمين لم يعرفوا في تاريخهم اصطلاح «الاحتلال»، وإنما كانوا أينما أقاموا في ديار الإسلام مواطنين في دولة إسلامية بصرف النظر عن موقع عاصمتها، سواء أكانت دمشق أم بغداد أم الأستانة، وبصرف النظر عن الأسرة التي تحكمها، سواء أكانت من بني أمية أم من بني العباس أم من بني عثمان<sup>١</sup> وكان يعتبر مواطنًا حتى من كان خاضعاً لحكم دولة خارجة عن سلطان الخليفة كالاندلس، فالاندلسيون كانوا يعاملون في بلاد الدولة العباسية مواطنين أحراراً يتنقلون في أقاليمها من دون قيد أو شرط، ويعملون أينما يريدون. وبقي الحال على هذه الصورة خلال الحكم العثماني، ولم يقع التمييز إلا بعد الحرب العالمية الأولى وزوال الخلافة العثمانية من الوجود.

والخطأ الثاني هو ما ورد في المقال من قول مفاده: «كانت سياسة الحكم التركي في البلاد العربية هي إعلاقها عن جهل أو سوء قصد في وجه أي مؤثرات حضارية تعد من الغرب». وهذا أيضاً فإن كاتب المقال أطلق مقولته على عواهنها دون معرفة الظروف التاريخية التي أحاطت بالدولة العثمانية، ولم يدرك أنها لم تعلق البلاد العربية وغير العربية التي تحكمها عن جهل أو سوء قصد في وجه المؤثرات الحضارية العربية، وإنما حال دون ذلك إشغافها بتوسيع دار الإسلام في أوروبا واصطراطها إلى حوص حروب طاحنة صد بشارى أوروبا حتى وصلت جيوشها إلى قلب تلك القارة، فحاصرت (فيينا) مرتين، وقد كانت عاصمة للإمبراطورية النمسا واثرة الإمبراطورية الرومانية المقدسة، مما ألّب عليها جميع القوى الصليبية التي لم يكن ظاهراً سوى شن حرب صليبية جديدة متواصلة ضد الدولة العثمانية لاستئراف قواها وإشغافها عن التنمية والتطوير

ونشر العلوم، فانعكس أثر ذلك ليس على البلاد العربية وحدها، بل على الأقاليم التركية أيضاً. ولم يقر للدولة الأوربية قرار حتى تم لها تصفية دولة الخلافة في أعقاب الحرب العالمية الأولى، حيث عقدت صفقة مع (أتاتورك) تتضمن إلغاء الخلافة نهائياً، وذلك في عام ١٩٢٤م، مقابل سحب بعض الجيوش الأوربية التي كانت تحتل أحراراً من الأراضي التركية.

هذا ومن الحق أن يقول إن الدولة العثمانية رغم انشغالها بالدفع عن حوزة الإسلام ما كانت غافلة عن التخلف العلمي الذي أصاب أبناءها، ولذلك ما درت في القرن التاسع عشر الميلادي رغم جميع الصعوبات إلى توفير الأسباب لتنهضة علمية تشمل جميع أقاليم الدولة، ومنها الأقاليم العربية. وإن نس فلا نسي الدور الذي لعبه (مدحت باشا) الوالي العثماني المعروف الذي تولى ولايتي بغداد والشام والإصلاحات الكبيرة التي قام بها هناك. لذلك فإنه ليس من العدل اتهام الدولة العثمانية بالتقصير في حق البلاد العربية، كما أن ذلك الاتهام لا يصمد أمام حقائق التاريخ، وإنها هي الظروف القاسية التي مرت بها تلك الدولة هي التي أملت عليها أن تكون وحدها في مواجهة القوى الأوربية المعادية الشرسة طيلة عدة قرون، مما لم يدع لها مجالاً لكي تولي الواحي العلمية والثقافية الاهتمام المطلوب. وهذه أمور يدركها أهل التاريخ ويقدرها حق قدرها، لكن الذين يتطفلون على مائدة التاريخ تأخذهم الأوهام والظنون.

وهناك أنموذج ثالث للموصى التي تحمل بها المقالات التي يكتبها هؤلاء، وتنشرها الصحافة دون عرصها للتحكيم من قبل أرباب التخصص، فتقع فيها العشرات من الأخطاء التي كان بالوسع تلافيها، ونجيب تشويه الأداة الصحفية الأيكة. وهذا الأنموذج هو مقال نشرته مجلة (أهلاً وسهلاً) التي تصدرها الخطوط الجوية السعودية في عددها الخاص بشهري رمضان - شوال

١٤١٣هـ/ شهر آذار (مارس) ١٩٩٣م عن زيارة قام بها أحد الأدباء إلى تركيا حيث قضى في ربوعها ١٤ يوماً شاهد خلالها عدداً من معالمها وآثارها، وهو بعنوان (أربعة عشر يوماً في تركيا) نشر على الصفحات (٨ - ١٦) من القسم العربي في المجلة.

والحق أن المقال ألقى أضواءً ساطعة على تركيا في ماضيها وحاضرها، وأعطى القاري فكرة طيبة عن حقيقة أحوالها، خصوصاً وأنه ضم صوراً رائعة تصور مشاهد جميلة من تركيا بمدنها العريقة ومساجدها الصخمة ومتاحفها الغنية بروائع التراث الإسلامي، كما حوى معلومات قيمة تعطي فكرة واضحة عن هذا القطر المسلم الشقيق، وبذلك قدم الكاتب خدمة كبيرة للقراء العرب مثلما خدم السياحة التركية، إذ عرض للمعالم السياحية بأسلوب شائق جذاب يشجع الناس على زيارة تركيا، كذلك أرشدهم إلى مواقع تلك المعالم، مما يمكنهم من إعداد برامج محكمة للزيارة دون إضاعة شيء من الوقت والمال دون مبرر. ولكن الكاتب لم يكتف بالوصف، إذ تناول بعض المعلومات التاريخية والجغرافية، وتساهل في ضغط الأسماء، فأساء إلى المقال أبها إساءة! وسوف أحاول هنا رصد الأخطاء التي وقع فيها على قدر الإمكان، وأترك للقاري الحكم على وجاهة ما رعمت وصحة ما ادعيت، وفوق كل ذي علم عليم:

١ - ذكر الكاتب (ص ٨) أن الحصار في تركيا تتمثل في معالمها التاريخية (الرومانية والإسلامية). وهنا أخطأ الكاتب في وصف تلك المعالم على أنها (رومانية). أما لا أنكر أن الرومان قد حكموا في وقت من الأوقات بلاد الأناضول أو بعض الأجزاء منها على الأقل، ولا سيما في المناطق العربية ومنها إسطنبول بشقيها الآسيوي والأوروبي، لكن الآثار الباقية التي تتميز بها تركيا من غيرها من الأقاليم هي الآثار البيزنطية الكثيرة، إذ كانت إسطنبول هي العاصمة

للدولة البيزنطية بأسرها، ولهذا كثرت آثار تلك الدولة في تركيا، إذ طال حكمها إلى ما يزيد على ألف عام. ولعل سبب وهم الكاتب في هذا الشأن هو ما رآه في بعض النثرات السياحية من وصف لتلك الآثار على أنها (رومية)، فطل أن المقصود بها أنها آثار رومانية. في الحقيقة أن الأتراك عندما يدكرون (الروم) فإنهم يقصدون بهم البيزنطيين والشعب الذي انبثق منهم وهو الشعب اليوناني. وتسمية البيزنطيين بالروم هي في الواقع تسمية عربية قديمة، بل هي تسمية قرآنية كما هو واضح من (سورة الروم)، وإن كتب التاريخ الإسلامي تطلق هذا الاسم على أهل بيزنطة وتسمي بلادهم ببلاد الروم، حتى إن المؤرخين المسلمين يسمون السلاجقة الذين حكموا بعض تلك البلاد سلاجقة الروم، ثم صار هذا الاسم يطلق على الأتراك الذين قطنوا تلك المنطقة في العهد العثماني.

٢ - ورد في المقال (ص ٩) أن الأتراك كانت لهم لغتان: أولاهما: لغة الفقراء، وهي اللغة التركية، والثانية هي لغة الأعياء وهي اللغة العثمانية التي وصفها الكاتب بأنها مزيج من اللغتين العربية والإيرانية (كداء)، وأن (أتاتورك) قد وحد اللغة لصالح اللغة الأولى. في طني أن هذا القول بطوي على شيء كثير من المبالغة، لأن اللغة لا يمكن أن تختص بفتة من الناس دون غيرهم على أساس عناهم أو فقرهم، ولكن يمكن القول إن هناك لغة للتخاطب وأخرى للكتابة والتعليم والمعاملات الرسمية كما هو الحال بالنسبة للهجات العامية العربية التي يستخدمها الناس في حديثهم مع بعضهم بعضاً، إلى جانب اللغة العربية الفصحى المستخدمة في الكتابة وفي التعليم وفي المعاملات الرسمية، وقبل كل ذلك فهي لغة العادة. وعلى أي حال فإن اللغة العثمانية لم تكن مزيجاً من اللغتين العربية والإيرانية فحسب - علماً بأنه لا توجد لغة تسمى إيرانية، إنما هي اللغة الفارسية - وهي التسمية التي تطلق عليها من قبل الإيرانيين

وغيرهم -، وإنما هي - أي : اللغة العثمانية - في الأساس لغة تركية تطعّمت على مرّ القرون بمعردات عربية وفارسية كثيرة ربما طعت على العنصر الأصلي، وهذه اللغة هي اللغة الرسمية للدولة العثمانية، وبها كانت تجري المعاملات الرسمية، وتدوّن العلوم، ويتم بها التعليم على اختلاف أصافه ودرجاته، ولم يكن هناك ما يمع الفقير من استخدام تلك اللغة، إذ لا يطالبه أحد إذا ما أراد استخدامها أن يبرز شهادة تؤيد كونه من الأعياء ! وظلت هذه اللغة مستخدمة في تركيا بشكلها العثماني حتى عام ١٩٢٨م، عندما قرر (أتاتورك) اتخاذ الحروف اللاتينية بدلاً من الحروف العربية، وعندها نشط مؤيدوه لاستبعاد المعردات العربية والفارسية وإحلال كلمات تركية الأصل بدلها، وعد عجزهم عن إيجاد البديل صاروا يلجئون إلى اللغات الأوروبية، ولا سيما إلى اللغة الفرنسية التي غزت اللغة التركية الحديثة بالآلاف الكلمات !

٣ - ذكر الكاتب (ص ٩) أن أرمير - بفتح الهمزة، والصحيح بكسرهما - وانطاليا هما أهم منطقتين سياحيتين في تركيا، وهذا قول مبالغ فيه، ذلك لأن إسطنبول هي في الحقيقة التي تحظى بالأولوية بين المناطق السياحية بسبب ما تحويه من معالم تاريخية عريقة في القدم تعود إلى العهدين الروماني والبيزنطي، وازدادت غنى في العهد الإسلامي العثماني، فضلاً عن موقعها العرید وتمتعها بشواطئ جميلة على ضفاف بحر مرمرة وصفاف البوسفور من الناحيتين الآسيوية والأوروبية، علاوة على خليج القرن الذهبي الذي يخترقها، وهي إلى جانب ذلك تضم عدداً كبيراً من المتاحف التي تمثل محتوياتها تلك العهود التاريخية على اختلافها، ثم هناك أسواقها القديمة التي تبيع كل شيء قديم وحديث مما قد لا يتوفّر في غيرها من المدن التركية وغير التركية. وقد عرف السياح هذه الحقائق كلها، ولذلك فإن سيلهم لا ينقطع عنها على مدار السنة

في الصيف والشتاء، بل إن السائح الذي يريد إزمير وانطاليا، يفضل النزول في إسطنبول أولاً، إذ فيها أكبر مطار دولي في تركيا. ومنها يأخذ الطريق البري إلى البلديتين المذكورتين، فتتاح له فرصة التمتع بمعالم العاصمة العريقة لكل من الإمبراطورية البيزنطية والخلافة العثمانية من بعدها، كما تتاح له الفرصة لزيارة (سورصة) أول عاصمة للعثمانيين قبل فتح القسطنطينية، إذ هي على الطريق العام.

٤ - أن كاتب المقال لم يكن دقيقاً في الغالب في ضبط أسماء المواقع، من ذلك ما ذكره (ص ١٠) عندما أشار إلى مدينة تقع في الطريق إلى مدينة (أفيون) سهاها (لوردور) وقال عنها إنها تقع على نهر بهذا الاسم. في الحقيقة أن المدينة المذكورة هي (بُردر BURDUR) وأنها تقع على بحيرة باسمها وليست على نهر! أما الجبال التي مرَّ بها فقد سهاها (توروس) وصحة اسمها (طوروس) وهي مشهورة جداً إذ كانت الحد الفاصل بين بلاد الشام وبلاد الروم. ثم ذكر الكاتب وجود نهر قرب (كوناهيا)، والرسم الصحيح لاسم هذه المدينة هو (كوناهية)، وقد سمى كذلك نهرها باسم (تومسك) بينما الاسم الصحيح هو (بورسك PORSUK)، ثم ذكر (ص ١١) مدينة قرب بورصة سهاها (الأقول)، وقال إنها مشهورة بلحم الكفتة، والاسم الصحيح لهذه المدينة هو (إنيكول INEGOL)، وشهرتها بالكفتة صحيحة، إلا أن لها شهرة أوسع هي وجود مصانع كثيرة للمويليا فيها. وبعد ذلك ذكر الكاتب (ص ١٢) وهو في طريقه من بورصة إلى إسطنبول مدناً هي (حاملك) و (أورهان حار) و (يارلو) وكلها أسماء مغلوطة، فالأولى اسمها (غيملك)، والثانية هي (أورهان غازي) نسبة إلى السلطان العثماني (الغازي أورهان)، فالمعروف أن العثمانيين كانوا يطلقون على كل سلطان أو قائد عسكري يغزو بلاد العدو لقب (غازي) إشارة إلى أنه يغزو في سبيل الله، وتوسعوا في

إطلاق هذا اللقب حتى شمل صغار الجند الذين يشاركون في القتال ضد أعداء المسلمين، أما المدينة الثالثة فإن اسمها (بالوه) ولا أظنه يقصد غيرها، إذ قال إن العبارة نقلته من ميناء مدينة (يارلو) إلى إسطنبول عبر بحر مرمرة في حوالي (٤٥) دقيقة، وهذا ينطبق كل الانطباق على (بالوه) إذ لا يوجد غيرها من المدن على بحر مرمرة ما يربطه بإسطنبول عبارة تستغرق رحلتها (٤٥) دقيقة، ثم إنها هي حلقة الوصل بين إسطنبول وبورصة. وهذا خطأ الكاتب عندما وصف (بالوه) بأنها مدينة كبيرة وأن عدد سكانها يبلغ (ثلاثة أرباع المليون)، في الواقع أن عدد السكان لا يزيد على عشر هذا العدد، وبإمكان السائح أن يعرف عدد سكان جميع المدن التركية التي يزورها إذ تحرص بلدياتها على كتابة هذا العدد على لوحات أسماء المدن التي تنصب عند مداخل تلك المدن، علاوة على مقدار ارتفاعها عن سطح البحر إن كانت من المدن الحبلية

ومن الأمثلة على عدم ضبط الأسماء ما ذكره كاتب المقال (ص ١٤) عن بعض معالم إسطنبول، إذ ذكر ما سماه (متحف نوب كابو طالس)، ولعله معذور في هذه التهجئة التي سمعها - على ما يبدو - من الدليل الذي زار بصحته معالم المدينة، فأخطأ السمع، ولعل الدليل قال: (نوب كابو سالاس) أي: (قصر نوب كابو). أما كلمة (سالاس) فهي الكلمة الإنجليزية PALACE التي تعني (قصر)، والحديث بالذكر أن الكاتب رسم الاسم تحت الصورة المشورة هذا القصر بشكل (نوبكابي) في حين أن الاسم المعتمد في العهد العثماني كان (طوب قابو سراي) أي: (قصر بوابة المدفع) نسبة إلى إحدى بوابات سور إسطنبول. ويعد هذا القصر من أجمل القصور العثمانية، وقد أقيم على رتبة تشرف على بحر مرمرة قريباً من جامع أيا صوفيا وجامع السلطان أحمد المعروف بالجامع الأزرق. وقد تحول القصر إلى متحف يضم أثنى الدخائر التي يعود بعضها إلى صدر

الإسلام هذا وقد وقع كاتب المقال (ص ١٤) في خطأ مماثل عندما ذكر بين معالم إسطنبول ما سماه (سراي دول ماباتشييه)، وهذا تحريف عجيب لاسم قصر يعد من أحدث القصور العثمانية الواقعة على شاطئ بحر مرمرية في وسط إسطنبول الأوربية، وصحة اسمه باللغة التركية (دوله ناعشه سراي) أو (قصر دوله ساغشه) والمقصود بهذه التسمية أنه (قصر الحديقة المحشوة - أي، المردومة) ذلك لأن الأرض التي أقيم عليها القصر هي في الأساس بقعة من البحر تم ردمها أو حشوها بالأتربة والأحجار حتى ارتفعت عن سطح الماء لبضعة أمتار، فأقيم عليها القصر المذكور بحديقته الغناء وجامعه الرائع. والغريب أن الكاتب عاد في (ص ١٦)، وذكر هذا القصر بصيغة أخرى هي (دولماشييه) عندما أشار إلى وجود متحف بهذا الاسم!

٥ - من الملاحظ في مقال مجلة (أهلاً وسهلاً) وجود بعض المعلومات التي تعوزها الدقة، وقد سبقت الإشارة إلى صحة عدد سكان مدينة (بالوه)، وأستعرض الآن عدداً من الحالات التي لها علاقة بهذه النقطة أي: عدم الدقة، من ذلك مثلاً ما ذكره الكاتب (ص ١٢) من أن في بورصة ما سماه جامعة «أولو جامع» وقال إنها جامعة بايزيد على غرار جامعة الأزهر. في الواقع أن المسجد المسمى «أولو جامع» ليس بجامعة، وإنما هو جامع للعبادة محسب، ومعنى اسمه «الجامع الكبير»، ويكاد يتكرر هذا الاسم في أكثر المدن التركية، والمقصود به هو الجامع الذي تقام فيه الجمعة وصلاة العيدين، لأن الطقس في تركيا برودته القاسية وبكثرة الأمطار، لا يسمح بإقامة مصليات للعيدين في الأماكن المفتوحة، ولذلك استعاضوا عنها بالجوامع الكبيرة. وذكر الكاتب في الصفحة نفسها أن المسافة بين بورصة وإسطنبول تبلغ (١٨٠) كيلومتراً، وهذا التقدير غير صحيح لأن المسافة تزيد على (٢٣٠) كيلومتراً بالطريق البري.

ومن هذا القبيل - فيما يتعلق بتحريف الأسماء - ما قرأته مؤخراً في إحدى الصحف العربية، وقد فاتني تسجيل اسمها وتاريخها، إذ ذكرت مدينة تركية باسم (سانليورفه). وقد حاولت الاستدلال عليها فلم أوفق. وبعد مراجعة بعض الخرائط التركية الحديثة وجدت مدينة اسمها SANLI URFA، وعندها اهتمت إلى أن المدينة التي أشارت إليها الخريدة العربية آنفة الذكر هي (أورفة) وهي (الرها) القديمة الواقعة في منطقة حران التي يرد ذكرها في كتب التاريخ الإسلامي، لا سيما في فترة الحروب الصليبية، إذ كانت من المدن التي احتلها الصليبيون في حملتهم الأولى، لكن عماد الدين زنكي - رحمه الله - استعادها منهم في سنة ٥٣٩هـ. ويسمى الأتراك هذه المدينة (شانلي أورفة) أي: (أورفة ذات الشأن)، تعظيماً لها لأن الأحجار المنوثة تفيد بأن سيدنا إبراهيم الخليل - عليه السلام - قد حل فيها في هجرته من العراق إلى الشام. أما تحريف اسمها إلى (سايلو روه)، فسيب أن الأتراك يرسمون لحرف الشير بحرف (S) اللاتيني، ويرسمون تحته شولة، إذ لا يوجد في اللاتينية حرف لهذا الصوت قائم بداته، ولا يشبه كثير من القراء إلى وجود تلك الشولة فيقرءونه بصوت حرف السين. ومن هنا نشأ التحريف.

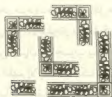
ومثل ذلك ما تكتنه بعض الصحف، وتدبعه كثير من محطات الإذاعة والتلفزيون عن اسم عاصمة البوسنة - أزال الله شدنها وبصر أهدها - على أنه (سراجيفو) لأنهم يحدونه مكتوباً بصورة SARAJEVO، ولا يعرفون أن حرف (J) باللغات السلافية يقابل حرف (ي) العربي، ولذلك يكتب اسم يوغوسلافيا هكذا JUGOSLAVIA في الحقيقة أن أمثال هذه الأغلط كثير، مما يوجب على الكتاب بذل مزيد من الحيلة والتدقيق.

ومن الأمثلة على عدم الدقة والخطأ الجغرافي ما ذكره الكاتب (ص ١٢) من أن

بين مدينة بورصة وإسطنبول «بحر البوسفور»، وأشار إلى بحر البوسفور هذا مرة أخرى في الصفحة ١٤ مما يدل على تمسكه بهذه التسمية. وهنا وقع في خطأين: الأول هو أن البوسفور ليس بحراً، وإنما هو مضيق يصل بين بحر مرمرة في الجنوب والبحر الأسود في الشمال، وأن الكاتب نفسه استخدم هذه التسمية الصحيحة في (ص ١٤) عندما قام برحلة مائية فيه، وهو أمر لافت للنظر أن يصف (البوسفور) بصفتين متناقضتين - بحر ومضيق - في صفحة واحدة! والخطأ الثاني هو أن الماء الذي يفصل بين بورصة وإسطنبول هو بحر مرمرة وليس البوسفور، ولعل الكاتب يقصد أنه في طريق سفره بين المدينتين قد عبر مضيق البوسفور على الجسر الذي أشار إليه، وقال إنه افتتح في عام ١٩٨١ م، وهنا أخطأ في التاريخ، فالجسر المذكور افتتح قبل هذا التاريخ بأربع سنوات، وهو الجسر المسمى بجسر (أتاتورك) تمييزاً له من مثيله (جسر السلطان محمد الفاتح) الذي افتتح في عام ١٩٩٠ م. وخطأ آخر من هذا القبيل ما ذكره كاتب المقال (ص ١٢) عندما سَمَّى (بحر مرمرة) الذي عبره من (بالوه) إلى إسطنبول، سماء «بحيرة مرمرة»، ونسي أنه أطلق عليه في الصفحة نفسها اسمه الصحيح، والأغرب من ذلك أنه سماء في (ص ١٤) باسم جديد هو «خليج مرمرة»، وزادني ذلك خطأ جديداً عندما قال إنه يمتد زهاء سبعة كيلومترات، ويفصل بين آسيا وأوروبا. لا شك أن مضيق البوسفور وبحر مرمرة إلى جانب مضيق الدردنيل تفصل بين القارتين، لكن بحر مرمرة - وهو على شكل معين هندسي - يمتد في قطره الطويل إلى ما يزيد على (٢٠٠) كيلومتر من الشرق إلى الغرب، في حين أن طول قطره الصغير الممتد من الشمال إلى الجنوب يبلغ حوالي (١٠٠) كيلومتر، وليس سبعة كيلومترات، اللهم إلا إذا كان الكاتب يقصد بمقولته تلك البوسفور، وعندها يكون قريباً من الحقيقة.

هذا وقد ذكر الكاتب (ص ١٦) وجود أربع جامعات في إسطنبول، في حين أن العدد الصحيح هو خمس، إذ فات عليه ذكر جامعة اليوسفور المسماة باللغة التركية (بوغازجي يونيفرستي) التي كانت في الأساس كلية أمريكية تسمى (روبرت كوليج) متخصصة في الدراسات الهندسية، ثم أمتتها الحكومة التركية، وحولتها إلى جامعة بالاسم المذكور، وجعلت لها نظاماً خاصاً من شأنه السماح بتدريس بعض العلوم باللغة الإنجليزية. وتحظى هذه الجامعة بمكانة متميزة بالنسبة للجامعات الأخرى إلى جانب جامعة الشرق الأوسط التي مقرها في أنقرة.

وفي ختام هذه النبذة أود أن أؤكد أنني لا أهدف من وراء ما كتبه الانتقاص من جهود من كتب المقالات التي تساولتها، ولا من قدر الصحف التي نشرتها، فإن هؤلاء جميعاً أجز المجتهد وإن أخطئوا، ولكن هدي في هو مجرد التنبيه إلى ما قد يقع من أخطاء فيما ينشر في وسائل الإعلام بسبب إقدام بعض الأفاضل على خوض الكتابة في موضوعات ذات صبغة تاريخية تحتاج إلى إعداد خاص وتدريب معين فضلاً عن توفر الآلات والمعدات الضرورية، شأنها شأن غيرها من الموضوعات العلمية. وأمل أن أكون قد وفقت في عرض نهاذج حية من الأخطاء التي يقع فيها الكتاب من هذا القبيل، والله من وراء القصد.



## الهوامش

(١) وقد تناول القاضي أبو الحسن الماوردي التتق سنة ٤٥٠ هـ هذا الموضوع في كتابه «الأحكام السلطانية»

– انظر طبعة دار الكتب العلمية في بيروت، ص ٨، ٩ – إذ قال: إن أهل الخل والعقد من المسلمين إذا اختاروا إماماً وأجاب هو بالقبول، وقام أولئك – أي: أهل الخل والعقد – ببيعةه اتعقدت ببيعتهم له الإمامة، ولزم كل الأمة الدخول في بيعته والاتباع لطاعته.

وقال أيضاً: إنه لو تم التنزع حول شخصين وأبها أصلح للأمة، وجب اختيار أحدهما، ولم يجز العدول عنه إلى غيره إذا ما وجد بعد ذلك من هو أفضل منه.

ثم قال: إذا اتعقدت الإمامة لإمامين في بلدين لم تتعقد إمامتها لأنه لا يجوز أن يكون للأمة إمامان في وقت واحد.

أقول: إننا لو طبقنا ما قاله القاضي الماوردي على حال الخلافة العباسية بالنسبة للخلفاء المتين وجدنا في الأندلس ومصر، وجدنا أن الخلافة العباسية هي التي تتمتع بالوجود الشرعي، للأسباب الآتية:

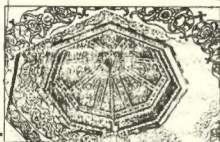
أولاً – لأن الإمامة قد اتعقدت لخلفاء بني العباس ببيعة أهل الخل والعقد لهم في أغلب أقطار دار الإسلام يوم لم تكن هناك خلافة في الأندلس أو في مصر. ولذلك لزم على كل الأمة الإسلامية الدخول في تلك البيعة، ومن الطبيعي أن ذلك يشمل أهل الأندلس ومصر.

ثانياً – لو اكتشف المسلمون بعد انعقاد البيعة لبني العباس أن أمراء بني أمية في الأندلس أو حكام الفاطميين في مصر هم أفضل من الخلفاء العباسيين لما جاز لهم العدول عن بيعة الخليفة العباسي إلى غيره، لأن انعقاد البيعة للعباسيين كانت سابقة.

ثالثاً – أن وجود خلافة أموية في الأندلس وخلافة فاطمية في مصر، يتعارض والمبدأ الذي ذكره القاضي الماوردي، ومفاده أنه لا يجوز أن يكون للأمة إمامان في وقت واحد.

وهكذا فليس من الجائز إطلاقاً تسمية «خلافة» على الحكيم الذي قام في الأندلس ومصر وبلاد المغرب، إذ كان من الواجب على حكام تلك البلاد الدخول فيها دخل فيه عامة المسلمين، في بيعة الخليفة العباسي والاتباع لطاعته، ذلك لأن في ادعائهم الخلافة خروجاً على ذلك المبدأ الأساسي، علاوة على تعارضه مع مبدأ وحدة الأمة.

# المسجد الحرام كان يضم 455 قنديلاً في القرن الثالث الهجري



أدب  
القرن الثالث الهجري



من أثار التوسعة التي بنسبها لعمير المؤمنين